رؤية جديدة لتفسير ظاهرة الكتابات المعكوسة في الخط العربي

د. مشلح المريخي

قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

يعد الخط العربي أحد أجمل الخطوط التي عرفتها البشرية وأروعها؛ فحروفه مرنة ليست جامدة جافة، بل تنبض حيوية وديناميكية لما تتمتع به من طواعية ومرونة وقابلية للتشكيل، فبلغ درجة عالية من الإتقان والجمال، وارتقى إلى مستوى التعبير شكلاً وهيئة لمستوى المضمون المراد تبليغه، لقد اتصف الحرف العربي بالجمالية منذ نشأته، وارتبطت هذه الجمالية بروعة اللغة العربية وجمالياتها، كيف لا وهو آلتها، ولسانها المعبر، كما هي وعاؤه الذي ينهل منه شتى الألفاظ والتراكيب، فيصوغها أشكالاً جمالية فريدة.

من بين هذه الأشكال الفريدة في الخط العربي ما يطلق عليه اصطلاحًا اسم الكتابات المعكوسة أو المرآتية (Mirror-image)(١)، ويجمع مؤرخو الفن الإسلامي عامة والخط العربي خاصة على أن

(١) المرآتية: مصطلح يقصد به الكتابات الإسلامية المتأخرة التي امتازت بالتناظر والتقابل، كما يطلق عليه المثنى، وعرفت أيضاً بالكتابة المعكوسة أو المتعاكسة (مرزوق، محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٩٨٧م)، ص ١٨٠، البهنسي، عفيف، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، مكتبة لبنان، لبنان (١٩٩٥م)، ص ١٣٧. ونضيف على ذلك فنقول: إنه يحق لنا أن نطلق هذا المصطلح أيضاً على نقشينا موضوع البحث على الرغم من أنهما لا يشتملان على ظاهرة التناظر والتقابل؛ وذلك لأنهما كتبا بطريقة معكوسة.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الأول المحرم ١٤٢٣هـ، السنة الثامنة والعشرون
الدارة

هذه الظاهرة الكتابية لم تعرف إلا في أواخر العصور الوسطى، وبالتحديد في أوائل العصر العثماني الذي وصلتنا منه نماذج غاية في الدقة والروعة والتفنن، وليس أدل على مدى الولع بهذه الظاهرة الخطية من أن العثمانيين قد أطلقوا عليها مصطلحًا خاصًا بها معبرًا عنها وهو "آينه لي"(٢).

وبما أن الحقيقة هي وليدة البحث دائمًا فإنا نرى أن الدليل الأثري يشير بكثير من التأكيد على أن هذه الظاهرة الخطية قد وجدت طريقها إلى الفن الإسلامي عامة والخط العربي خاصة منذ بدايات العصر الإسلامي وبالتحديد خلال القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، ويتمثل هذا الدليل في العثور على ثلاثة نقوش صخرية في المملكة العربية السعودية تعود إلى تلك الفترة، كتبت بطريقة معكوسة؛ أي: من الشمال إلى اليمين، وحسبنا أن نتناول بالدراسة نقشين من هذه النقوش: أحدهما يعرف بنقش غار الحمام بتيماء، والآخر يعرف بنقش الحناكية، على أن نفرد للنقش الثالث دراسة لاحقة بعد التمكن من الحصول عليه بمشيئة الله تعالى(٣).

النقش الأول- نقش غار الحمام بتيماء:

يعرف هذا النقش بنقش غار الحمام بتيماء، وكان إويتج (Euting) أول من أشار إليه على إثر زيارته للموقع في عام ١٨٨٣-١٨٨٤م، ثم قيامه بنشر صورة مستنسخة له عام ١٨٨٥م، مشيرًا إلى أن هذا النقش ذو كتابة معكوسة تشبه كتابة

(٢) البهنسي، معجم، ص ١٣٧.

(٣) المعروف لدينا - حتى الآن - من هذا النمط من النقوش الصخرية المعكوسة - فضلاً عن نقشينا موضوع البحث - نقش ثالث أشار إليه كباوي: عبدالرحيم، وآخرون،"حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية: الموسم الرابع ١٤٠٨هـ "، أطلال، العدد الثاني عشر (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص ٦٢، موردا أنه يقع في عورش بمنطقة العلا، بيد أنه لم يضمن قراءة النص أو صورته.

الأختام(٤)، كما أن وكالة الآثار والمتاحف السعودية قد أشارت إلى وجود هذا النقش في موقع غار الحمام دون أن تقوم بدراسته أو نشر صورته(٥).

قراءة النص (شكل رقم١):

١- الله ثقة أحمد بن يحيى بن برد.

٢- صلا(٦) الله(٧) على محمد.

٣- يرحمك الله يا يحيى بن برد.

التحليل العام:

افتتح النص بمصطلح ديني، شاع استخدامه في النقوش الإسلامية الصخرية منذ فترة مبكرة(٨)، سواء بهذه الصيغة أو بصيغ وتراكيب مختلفة، مثل "ثقة فلان بالله" أو "بالله يثق فلان"، كما ورد منفردًا أو مركبًا مع مصطلحات دينية أخرى، مثل: "الله ثقة فلان ورجاه" أو "الله ثقة فلان وبه يومن"(٩)، كما ورد هذا المصطلح الديني على الخاتم الرسمي للخليفة العباسي أبي العباس السفاح (١٣٢-

(4) Euting, J., Nabataische Inschriften Aus Arabien, Berlin (1885), p.10.

(٥) كباوي وآخرون، "حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية"، الأطلال، العدد الثاني عشر، ص ٦٢.

(٦) صلا: كتبت بالألف الممدودة بدلاً من الألف المقصورة، وهي ظاهرة تتكرر كثيراً في الكتابات الإسلامية سواء الصخرية أو على أوراق البردي.

(٧) لفظ الجلالة "الله" هي الكلمة الوحيدة التي كتبت في النص معتدلة، علماً أن لفظ الجلالة كتب معكوساً في السطرين الأول والثاني.

(8) Extraits Solange, "Les Graffiti Umayyades de Ayn al-Garr", Bulletin du Musee de Bayrouth, T.XX, (Beyrouth, 1967), pp.97-148 nos9. 10.18.24& 39,pp.79-145.

(9) Al-Moraekhi, "Acritical and analytical study of some early Islamic Inscriptions from, Medina in the Hijaz, Saudi Arabia"ph.D. thesis, (Manchester University, (1995), pp. 295-296.

١٣٦هـ/٧٥٠-٧٥٤م)[١٠].

من خلال استعراض الخصائص الخطية لهذا النقش يمكننا إرجاع تاريخه إلى القرن ٢-٣هـ/٨-٩م.

وأحمد بن يحيى بن برد هو صاحب النقش، ويبدو من حسن خطه وتناسقه وأسلوبه في تنفيذه أنه ممن عمل ناقشًا لقوالب سك العملة، أو ممن امتهن النقش على الأختام.

وقد ختم صاحب النقش نصه بالصلاة على النبي ﷺ، متبوعة بطلب الرحمة لوالده يحيى بن برد.

النقش الثاني - نقش الحناكية:

يعرف هذا النقش بنقش الحناكية، وقد عثر عليه في جبل الحناكية الواقع شرق مدينة الحناكية على مسافة (١٠) كم، على يسار طريق المدينة - القصيم للمتجه ناحية القصيم، وهو جبل رملي أحمر اللون، وجد فيه عدد من النقوش والرسوم الصخرية القديمة، إضافة إلى هذا النقش وعدد آخر من النقوش الإسلامية[١١].

قراءة النص (شكل رقم٢):

١- بسم الله الرحمن.

٢- الرحيم اللهم اغفر.

٣- لعبدالله ابن[١٢].

---

(١٠) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي والثقافي، دار النهضة المصرية، القاهرة (١٩٧٦م)، ص ٢٩.

(11) Donner, F.M. "Some early Arabic Inscriptions from al-Hanakiyya, Saudi Arabia", Journal of Near Eastern Studies, vol. XL111, pp. 181-208.

(١٢) كتبت بالألف في موضع لا تكتب فيه، فهي تقع بين اسمين علمين، ولم تكن في بداية السطر، وهذا الخطأ الإملائي يتكرر كثيرًا في النقوش الصخرية.

٤- ذر امين رب.

٥- العلمين.

التحليل العام:

افتتح النص بالبسملة، وهي ظاهرة تندر في النقوش التذكارية الإسلامية(١٣)، متبوعة بالمصطلح الديني "اللهم اغفر"، الذي كثيرًا ما يرد في النقوش الإسلامية منذ فترات مبكرة(١٤).

يمكننا اعتمادًا على الخصائص الخطية إرجاع تاريخ هذا النقش إلى القرن ٢-٣هـ/٨-٩م.

وعبدلله بن ذر، هو صاحب النقش، وفي الغالب أنه ممن عمل ناقشًا لقوالب سك العملة، أو ممن امتهن النقش على الأختام.

قبل أن نعرض لتفسير هذه الظاهرة الخطية فإنه حري بنا أن نسوق بعض النماذج اللغوية والخطية الشبيهة؛ لما في ذلك من إيضاح وعون لفهم هذه الظاهرة من ناحية، واستدلال على قابلية لغتنا وحرفنا العربي للتشكيل والتعبير عن شتى الأمور بمختلف الصور والأشكال من ناحية أخرى.

كثيرًا ما يرد في اللغة العربية ألفاظ وتراكيب لغوية فريدة، كأن تكتب بعض الألفاظ أو الأبيات الشعرية أو الأمثال والحكم، فتقرأ طردًا أو عكسًا - أي من الممكن قراءتها من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين - دون أن تتغير في مبناها أو معناها، من ذلك - على سبيل المثال - الأمثال الآتية:

١- كمالك تحت كلامك.

(13) Al-Moraekhi, "Acritical and analytical study", note 226, p 307.

(14) Al-Moraekhi, "Acritical and analytical study", p 292.

٢- عقرب تحت برقع.

٣- بلح تعلق تحت قلعة حلب[١٥].

ومن ذلك أيضًا الأبيات الشعرية الآتية:

قـمـر يفـرط عـمـدا مـشـرق	رش مـــاء دمع طرف يـرمـق
قـد حـلا كـاذب وعـد تابع	لعـبـا تدعـو بذاك الحـدق
قـبس يدعـو سناه إن جـفـا	فـجنـاه أنس وعـد يسـبق
قــر فـي ألف نـداهـا قـلبـه	بلقـاهـا دنف لا يفـرق[١٦]

لقد حاكى الخط العربي لغته، فاشتمل على نماذج خطية فريدة، صاغها الخطاط المسلم عبر توظيفه الحروف والكلمات إما بشكلها وهيئتها المعتدلة أو عن طريق تقابلها وتناظرها وقلبها مُشكّلاً من ذلك لوحات خطية تصويرية فريدة، منها - على سبيل المثال - الرسوم الآدمية والحيوانية وأشكال الطيور فضلاً عن أشكال العمائر والقناديل والأباريق وغيرها من الأشكال التي يطول حصرها، وقد قادت هذه الميزات والخصائص الفريدة للحرف العربي إلى ظهور أنواع عديدة وأنماط متميزة فريدة من الأشكال والخطوط العربية، وهناك أشكال وصور خطية عديدة هي خير شاهد على ما تميز به الحرف العربي من طواعية ومرونة وجمالية لم تتأتَ لغيره من الخطوط الأخرى، ويعنينا في هذا المقام تلك اللوحات والصور الخطية التي نفذت كتاباتها بطريقة متقابلة ومعكوسة (مرآتية)، منها - على سبيل المثال - ما يأتي:

(١٥) اليسوعي، الأب رفائيل نخلة، غرائب اللغة العربية، ط٣، دار المشرق، بيروت (١٩٨٤م)، ص ١١٥.

(١٦) اليسوعي، غرائب اللغة العربية، ص ١١٣.

١ - لوحة خطية على هيئة وجه آدمي، تشكلت من الكلمات "الله، محمد، علي، حسن"، كتبت بطريقة متقابلة ومعكوسة ومقلوبة في آن واحد (شكل رقم٣)(١٧).

٢ - لوحة خطية تشتمل على عبارة "الله ولي التوفيق"، كتبت بأسلوب التقابل "الكتابة المرآتيه" (شكل رقم٤)(١٨).

٣ - لوحة خطية تحتوي على الآية الكريمة ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ**﴾(١٩)، كتبت بطريقة متناظرة "مرآتية" (شكل رقم٥)(٢٠).

٤ - لوحة تشتمل على البسملة، مُشكلة هيئة طائر يلتقط الحبوب من إناء أمامه، ويلحظ أن الإناء يتكون من كلمة "بسم"، كتبت بطريقة متناظرة "مرآتية" ومقلوبة في الوقت نفسه (شكل رقم٦)(٢١).

٥ - لوحة خطية تشتمل على الآية الكريمة ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً**﴾(٢٢)، كتبت بطريقة متقابلة "مرآتية" (شكل رقم٧)(٢٣).

٦ - لوحة خطية تشتمل على البسملة ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾، كتبت على هيئة شجرة الأرز، بأسلوب التناظر "مرآتية" (شكل رقم٨)(٢٤).

(١٧) إبراهيم، إيهاب أحمد،"التصوير بالكلمات في الفن الإسلامي"، ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، دار طيبة للطباعة، القاهرة (١٩٩٩م)، ص ٣٥٠، لوحة ٢.

(١٨) حبش، حسن قاسم، نفائس الخط العربي، ط ١، دار القلم، بيروت (١٤١٢/ ١٩٩٢م) ص١٨٨، شكل ٢٩٧.

(١٩) سورة هود، الآية : ٨٨.

(٢٠) حبش، نفائس الخط العربي، ص١٢٤، شكل ١٨١.

(٢١) إبراهيم، "التصوير بالكلمات"، ندوة الآثار الإسلامية، ص ٣٤٤، الخطيبي، عبدالكبير؛ والسجلماسي، محمد، ديوان الخط العربي، (د.ت) ص ص ١٩٠-١٩١ .

(٢٢) سورة الإسراء، الآية : ٨٤.

(٢٣) آل سعيد، شاكر حسن،"الخط العربي جمالياً وحضارياً"، مجلة المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ص ٦٧، شكل ٧ .

(٢٤) سرحان، أحمد عبد الله، حرفنا العربي وأعلامه العظام عبر التاريخ، الحقيقة برس (١٩٨٨م)، ص ٢٤١.

٧ - لوحة كتابية عملت على هيئة منارة وقبة، تشكلت من عبارة "محمد رسول الله"، وقد كتبت بطريقة متناظرة[(٢٥)].

٨ - لوحة خطية تشتمل على الآية الكريمة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٢٦)] كتبت بطريقة متقابلة، مشكلة بذلك هيئة جامع السليمانية في إستانبول بتركيا (شكل رقم٩)[(٢٧)].

٩ - لوحة خطية تشتمل على عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، كتبت بطريقة متناظرة، مشكلة هيئة مآذن وقباب (شكل رقم١٠)[(٢٨)].

١٠- لوحة خطية تشتمل على عبارة "يا فتاح يا كريم" على هيئة إبريق، كتبت بطريقة متناظرة[(٢٩)].

١١- لوحة كتابية تحتوي على عبارة "بسم الله الرحمن الرحيم يا غفار الذنوب" على شكل قنديل، كتبت بأسلوب متقابل (شكل رقم١١)[(٣٠)].

١٢- لوحة خطية تشتمل على عبارة " لا إله إلا هو ربي ورب العالمين"، كتبت بطريقة متناظرة (شكل رقم١٢)[(٣١)].

١٣- قطعة نسيج عليها كتابة في شريطين، وقد كتبت بطريقة التقابل، ويشتمل الشريط الأعلى على عبارة "البركة من الله"،

---

(٢٥) المصرف، ناجي زين الدين، بدائع الخط العربي، راجعه وحققه عبدالرازق عبدالواحد، العراق (١٩٧٢م)، ص ٢١٥، شكل ٣٤٩.

(٢٦) سورة المائدة، الآية : ١٢٠.

(٢٧) المصرف، بدائع الخط العربي، ص ٢١٨، شكل ٣٥٩.

(٢٨) إبراهيم، "التصوير بالكلمات"، ندوة الآثار الإسلامية، ص ٣٤٦، لوحة ١٩.

(٢٩) المصرف، بدائع الخط العربي، ص ٢١٨، شكل ٣٦٠.

(٣٠) المصرف، بدائع الخط العربي، ص ٢١٦، شكل٣٥٣.

(٣١) عليوة، حسين عبد الرحيم، "الكتابات الأثرية العربية دراسة في الشكل والمضمون"، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٣٠ و ٣١ (١٩٨٣-١٩٨٤م)، ص ٢٦٢.

ويقابلها عبارة "البركة من الله واليمن"، على حين يشتمل الشريط الأسفل على عبارة "مما عمل في بغداد"، ويقابلها عبارة "لصاحبه (أبي) بكر مما عمل في بغداد[٣٢].

١٤ - لوحة خطية تحتوي على الآيات الكريمة ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم،طه ۝١ ما أَنزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرآنَ لِتَشْقَىٰ**﴾[٣٣]، كتبت بشكل متناظر على هيئة إبريقين متقابلين (شكل رقم ١٣)[٣٤].

فضلاً عن ذلك فقد وجدت بعض الكتابات المعكوسة على المسكوكات الإسلامية المبكرة، منها - على سبيل المثال - قطعة نقدية على الطراز البيزنطي تعود في تاريخها إلى سنة ٢٩هـ/٦٥٠م تقريبًا، ضربت في دمشق، وقد وردت عليها كلمة "جائز" معكوسة، كما وجدت بعض المسكوكات التي تعود إلى النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وهي تحتوي على بعض الكلمات المكتوبة بطريقة معكوسة؛ منها واحدة حملت مكان الضرب "فلسطين" منقوشًا بأسلوب معكوس، وأخرى تحمل مكان الضرب "حلب" كتب بطريقة معكوسة أيضًا، كما وجد أيضًا فلس من فلوس عبدالملك بن مروان نقش عليه "عبدالله عبدالملك أمير المومنين" بطريقة معكوسة[٣٥].

ومما لا شك فيه أن مثل هذه الكتابات المعكوسة على المسكوكات هي نتيجة لأخطاء وقع فيها ناقشو قوالب السك؛ إذ كتبوها على قوالب سك العملة بطريقة معتدلة، فخرجت بعد طرقها أو صبها على القطعة المعدنية كتابة معكوسة! على حين أن الحال عكس ذلك مع هذين النقشين الصخريين، فقد كتبا بأسلوب معكوس عن قصد ودراية.

(٣٢) حسن، زكي محمد، فنون الإسلام، دار الفكر العربي (د.ت)، ص ٣٦٩.

(٣٣) سورة طه، الآية : ١ - ٢.

(٣٤) المصرف، بدائع الخط العربي، ص ٢١٦، شكل ٣٥٢.

(35) Walker, Cataloque of the Arab-Sassanian Coins, vol.2.London (1941),no. 17,p.7, no. 81. P 24, no. 117,p. 35, no.129, p. 38.

لا شك أن الأمثلة المشار إليها سابقًا تبرز لنا مدى ما توصل إليه الخط العربي من جمالية في الهيئة والمضمون وقدرة على التشكيل، كما تبرز لنا ما توصل إليه الخطاط المسلم من قدرة فائقة وتحكم في أدواته.

وعلى الرغم من أن هذه النماذج - باستثناء المسكوكات - تعد متأخرة زمنيًا عن نقشينا موضوع الدراسة فضلاً عن اختلاف مادتهما وأسلوب كتابتهما، إلا أنه يصعب أن نحكم على ما وصل إليه الخط العربي من تطور وتميز في مختلف أنماطه المتأخرة دون معرفة أنماطه ومختلف مظاهره الخطية في عصوره الأُوَل.

تقودنا هذه الظاهرة الخطية التي ترد لأول مرة في النقوش الصخرية إلى تساؤل مؤداه: أهناك علاقة مباشرة أو غير مباشرة تربط بين هذين النقشين الصخريين اللذين كتبا بطريقة معكوسة، وبين هذه الظواهر اللغوية والخطية المشار إليها آنفًا، أم أنها - كما عللها بعض الدارسين - مجرد محاولة من الكاتب لإظهار مهارته وإبراز إتقانه للكتابة المعكوسة؟ أم أنها - كما ذهب بعض الباحثين - قد كتبت في مرحلة لم يستقر فيها اتجاه كتابة الخط العربي بعد؟ (٣٦).

من الملحوظ أن هذين التفسيرين- فيما يبدو - ليسا السبب الحقيقي وراء قيام الكاتبين بتسطير هذين النقشين على هذه الشاكلة؛ فمن المعروف أن ثمة أصحاب مهنتين اشتهرا بإتقان الكتابات وتنفيذها بشكل معكوس، إحداهما: مهنة النقش على قوالب سك العملة، إذ يقوم النقاش بكتابة النصوص والرموز والصور على قالب السك بصورة معكوسة (شكل رقم ١٤)؛ لكي تظهر بهيئة معتدلة

(36) Donner, "Early Arabic Inscriptions", p. 203.

عند طرقها على القطعة المعدنية المراد تحويلها إلى مسكوكة[٣٧]. والأخرى: مهنة النقش على الأختام، إذ يقوم النقاش بكتابة النصوص والرموز على الخاتم بصورة معكوسة (شكل رقم ١٥)؛ لكي تظهر بشكل معتدل عندما يختم به[٣٨].

يمكننا أن نستنتج أن منفذي هذين النقشين ذوا مهارة فائقة تمثلت في قدرتهما على الكتابة المعكوسة بطريقة تماثل الكتابة المعتدلة، وفي تميزهما بجودة الخط الذي يعكسه تناسق الحروف والكلمات ودقة التنفيذ، كما نخلص إلى أن هذا النمط من الكتابات الصخرية يعد ظاهرة فريدة نفذت بدقة وإتقان من قبل محترفي هذا النوع من الكتابات المعكوسة، وهذا ما تميز به وأتقنه ناقشو قوالب سك العملة وناقشو الأختام، ويقودنا هذا إلى الاعتقاد بأن منفذي

(٣٧) لمزيد من المعلومات عن قوالب سك العملة وطرق تنفيذها انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، المقدمة، ط ٥، دار القلم، بيروت (١٩٨٤م)، ص ٢٦١. الهمداني، الحسين بن أحمد، كتاب الجوهرتين العتيقتين الصفراء والبيضاء، أعده للنشر بإيضاح بعض نواقصه وإعداد فهارسه وإضافة بحث عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب حمد الجاسر، الطبعة الأولى، الرياض (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ص ص ٣١٢-٣١٣. ابن بعرة، منصور بن بعرة الذهبي، كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق عبد الرحمن فهمي، القاهرة (١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م)، ص ص١١-١٥. الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، مدريد (١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م)، ص ١١٥. فهمي، عبد الرحمن، موسوعة النقود العربية وعلم النميات (فجر السكة العربية)، القاهرة (١٩٦٦م)، ص ص ٢١٣-٢٢٢. دفتر، ناهض عبد الرزاق، "تطور الخط العربي على المسكوكات العربية حتى نهاية العصر العباسي"، مجلة المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ص ٤٦. حسين، طاهر راغب، النقود الإسلامية الأولى، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى، القاهرة (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ص ص ٣٨-٣٩. محمود، مايسه داود، المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة: دراسة أثرية فنية، دار الفكر العربي، القاهرة (١٩٩١م)، ص ص ١٣٧-١٤٢.

(٣٨) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٦٥. هذا وتجدر الإشارة إلى أن استخدام هذه النوعية من الأختام ما يزال شائعًا حتى الآن، ولا سيما لدى الأشخاص غير المتعلمين في العديد من الأقطار العربية والإسلامية.

هذين النقشين لا بد أنهما إما ممن كان يعمل ناقشًا لقوالب سك العملة في دار السكة الإسلامية، وإما ممن امتهن حرفة النقش على الأختام.

وفي ضوء ذلك يمكننا عد هذه الكتابات المعكوسة المبكرة المتمثلة في هذين النقشين بمثابة الإرهاصات الأُولى لما شاع في العصور الإسلامية المتأخرة، وبخاصة منذ العصر العثماني من ذيوع الكتابة على هذا النحو؛ فوجود هذين النقشين يزيد من احتمال العثور مستقبلاً على نماذج تمثل استمرارًا لهذه الظاهرة فيما بين تلك الفترة المبكرة والعصر العثماني، وهذا الاحتمال يعززه ما شاع في اللغة العربية من ألفاظ وتراكيب لغوية فريدة تعكس هذه الظاهرة وتمثلها بحق؛ إذ تقرأ من اليمين إلى الشمال والعكس دون أن تتغير في مبناها أو معناها كما سبقت الإشارة إلى ذلك، كما يعززه وجود أختام مستديرة تعود في تاريخها إلى الفترة الفاطمية، كانت تستخدم للطبع بها على الكعك في الأعياد والمواسم، وتحمل هذه الأختام رسوم الطيور والحيوانات فضلاً عن الزخارف النباتية والهندسية، ووجد على بعضها عبارات دعائية بالخط الكوفي محفورة بطريقة معكوسة، ومنها "كل هنيًا" و "بالشكر تدوم النعم" و "كل واشكر مولاك"(٣٩).

ويقودنا هذا الاستنتاج إلى نقطة جديرة بالبحث والدراسة، وهي أنه يجب على العلماء والباحثين أن يعطوا مزيدًا من الاهتمام للعصر الإسلامي المبكر، ولا سيما القرون الثلاثة الأُولى من الهجرة؛ إذ تكمن خلال هذه الحقبة الزمنية بذور الكثير من الظواهر العامة والخاصة والسمات الرئيسة للفن الإسلامي عامة ولفن الخط العربي خاصة.

(٣٩) الباشا، حسن؛ وآخرون، القاهرة: تاريخها، فنونها، وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة (١٩٧٠م)، ص ص ٣٢٨-٣٢٩ .

الأشكال

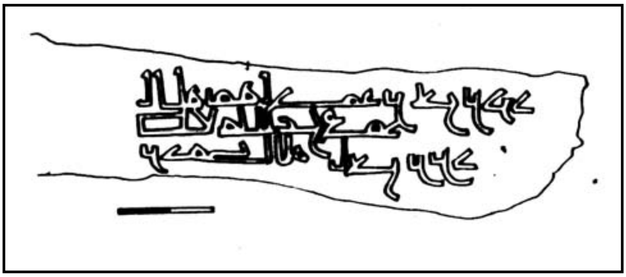

شكل رقم (١)

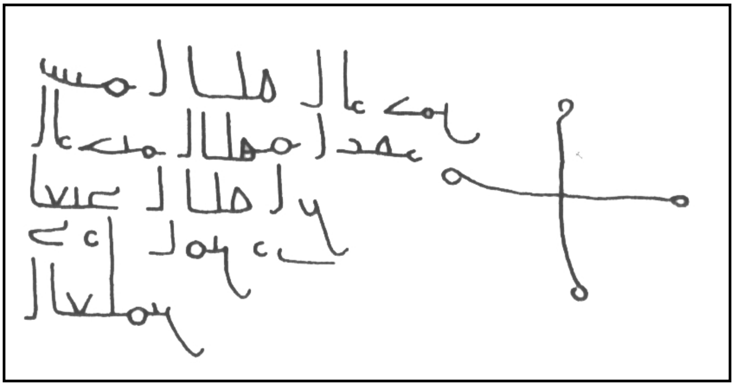

شكل رقم (٢)

شكل رقم (٣)

شكل رقم (٤)

شكل رقم (٥)

شكل رقم (٦)

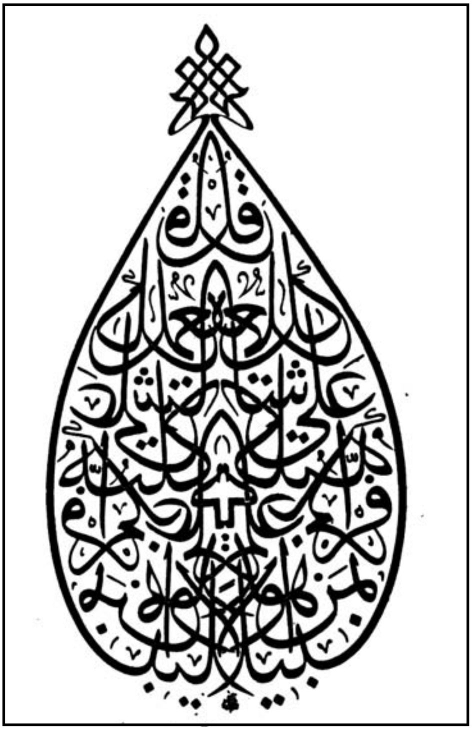

شكل رقم (٧)

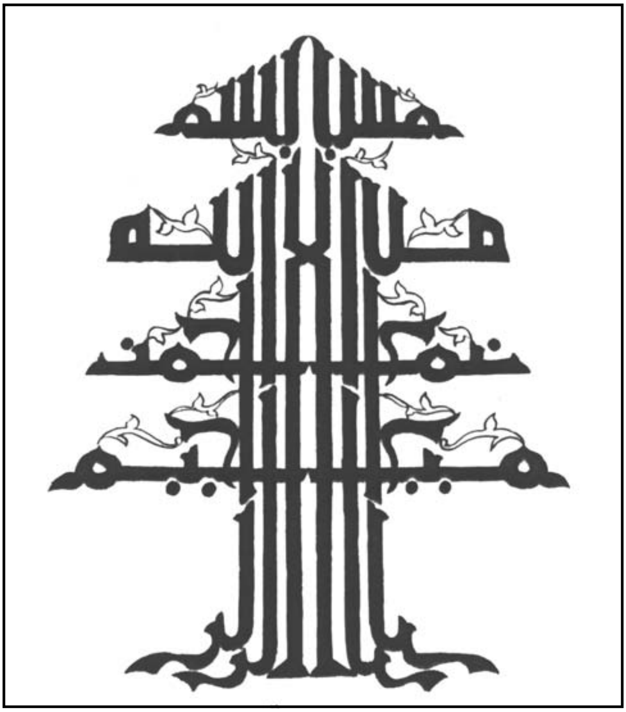

شكل رقم (٨)

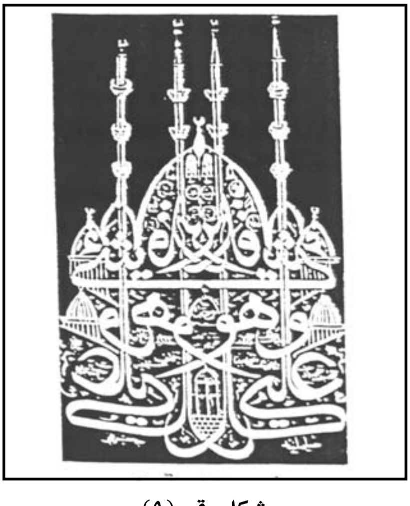

شكل رقم (٩)

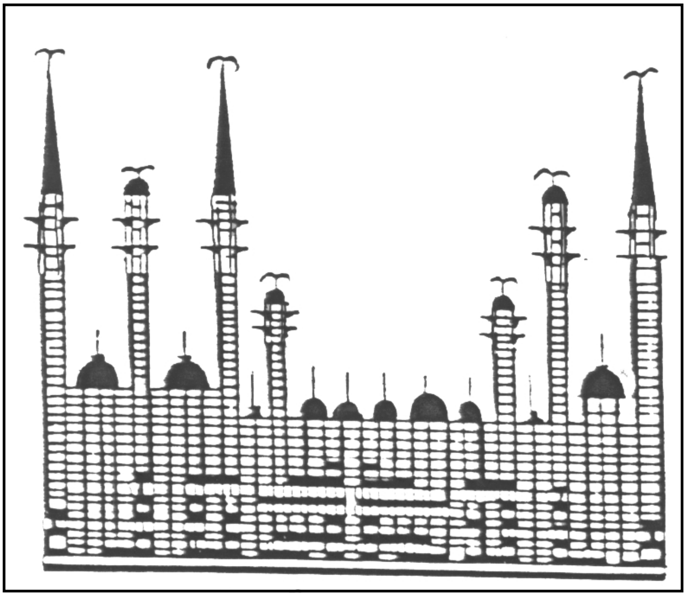

شكل رقم (١٠)

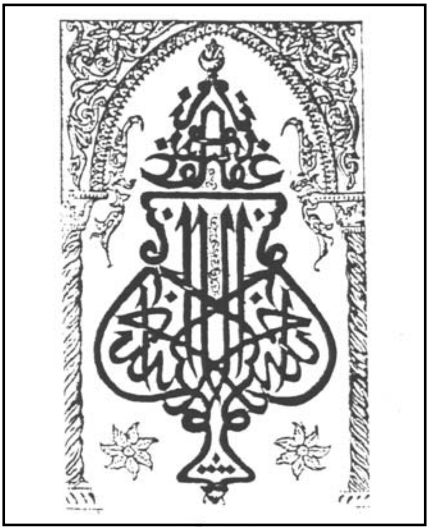

شكل رقم (١١)

شكل رقم (١٢)

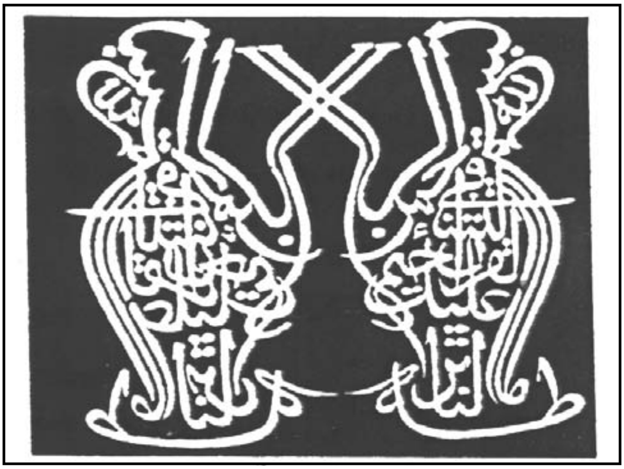

شكل رقم (١٣)

شكل رقم (١٤)

شكل رقم (١٥)